المحاضرة الحادي عشر: المنهج الوصفي والمسحي

تمهيد: يعد المنهج الوصفي أكثر المناهج البحث ملائمة للواقع الاجتماعي كسبيل لفهم الظواهر، ويأتي على مرحلتين، الأولى مرحلة الاستكشاف والصياغة (تضم البحوث الاستكشافية) التي تحتوي بدورها على ثلاث خطوات هي تلخيص ما تم جمعه من أدبيات تتعلق بالموضوع المدروس، الاستناد إلى ذوي الخبرة العلمية والعملية بموضوع الدراسة، ثم تحليل بعض الحالات التي تزيد من استبصارنا بالمشكلة.

يطلق على المنهج الوصفي خاصية "الوصف" لأنه يتأسس على هدف الحصول على معلومات تتعلق بالحالة الراهنة للظاهرة موضوع الدراسة لتحديد طبيعة تلك الظاهرة والتعرف على العلاقات المتداخلة في حدوثها ووصفها وتصويرها وتحليل المتغيرات المؤثرة في نشوءها ونموها . أو هو صفة البحث التي تستهدف الوصف الكمي أو الكيفي لظاهرة اجتماعية أو إنسانية أو إدارية أو مجموعة من الظواهر المترابطة معا من خلال استخدام أدوات جمع البيانات المختلفة.

أولا: تعريف المنهج الوصفي

المنهج الذي يقوم على وصف الظاهرة للوصول إلى أسبابها والعوامل التي تتحكم فيها واستخلاص النتائج والتعميمات وذلك من اجل تجميع البيانات وتنظيمها وتحليلها، ويساعد هذه المنهج على دراسة الحقائق المتعلقة بطبيعة الظاهرة أو الموقف أو مجموعة من الأحداث أو مجموعة من الأوضاع، فهناك العديد من البحوث الإعلامية التي تقف بأهدافها عند حدود الوصف المجرد للظاهرة للإجابة عن التساؤل ماذا؟ وكيف؟ أي التعريف بالظاهرة والتغير فيها، أو كيف تتحرك هذه الظاهرة؟ أو كيف يتم التغير فيها؟.

يهدف المنهج الوصفي إلى وصف الظواهر والأحداث بدقة متناهية، من خلال جمع البيانات الكمية والنوعية وتحليلها. و يسعى هذا المنهج إلى تحقيق فهم أعمق لهذه الظواهر، وتحديد العوامل المؤثرة فيها، وذلك من أجل تفسير السلوكيات والأنماط السائدة، والمساهمة في تطوير المعرفة وتوجيه القرارات.

يعد المنهج الوصفي أكثر المناهج البحث ملائمة للواقع الاجتماعي كسبيل لفهم الظواهر، ويأتي على مرحلتين، الأولى مرحلة الاستكشاف والصياغة (تضم البحوث الاستطلاعية) التي تحتوي بدورها على ثلاث خطوات هي تلخيص ما تم جمعه من أدبيات تتعلق بالموضوع المدروس، الاستناد إلى ذوي الخبرة العلمية والعملية بموضوع الدراسة، ثم تحليل بعض الحالات التي تزيد من استبصارنا بالمشكلة، ثم المرحلة الثانية هي مرحلة التشخيص والوصف وذلك بتحليل البيانات والمعلومات التي تم جمعها تحليلا يؤدي إلى اكتشاف العلاقة بين المتغيرات وتقديم تفسير ملائم لها.

ثانيا : خصائص الدراسات الوصفية

1-وصف الواقع بشكل دقيق.

2-لا يتضمن التلاعب بالمتغيرات.
3-يعتمد على التحليل الكمي أو النوعي.

ثالثا: أنواع البحوث الوصفية:

1. البحوث الاستكشافية(الاستطلاعية)

في هذه المرحلة يتم استكشاف واستطلاع مجال البحث والدراسة، وتحديد المفاهيم وأدوات جمع البيانات لإجراء البحث والتعرف على ظاهرة جديدة، ويدخل في هذا النوع من البحوث التي تتطرق لمواضيع أو أجزاء من مواضيع لم يسبق تناولها البتة، ويكثر تطبيق هذا النوع في المرحلة التي تعقب اختيار موضوع ما لدراسته، وذلك من اجل التعرف على مدى إمكانية إجراء دراسة أكثر عمقا على ذلك الموضوع أم لا، وهو ما يتيح للباحث تطوير مناهج يتم استخدامها فيما بعد، كما أنها تستخدم في المراحل الارتيادية الأولى في التخصصات المختلفة.

تهدف البحوث الاستكشافية إلى استكشاف آفاق جديدة في مجال البحث، من خلال جمع معلومات أولية تساعد الباحث على تحديد المشكلة بدقة وصياغة تساؤلاتها أو فرضياتها بشكل واضح. ولذلك، يلجأ الباحثون في هذه النوعية من البحوث إلى استخدام الأسئلة المفتوحة التي تتيح للمبحوثين التعبير عن آرائهم وأفكارهم بحرية، مما يساهم في الحصول على بيانات غنية وعميقة وتعزيز مصداقية النتائج.

2. **البحوث التشخيصية :**هي دراسة تعرض وتفسر الظواهر بطريقة الكم والكيف بصورة منطقية وعلمية بناء على فروض سببية محددة يبين الباحث من خلالها مدى العلاقات بين المشاكل. حيث أن ملامح المشكلة محددة بشكل دقيق جيداً، وتتبع الظواهر فترة زمنية منذ بدايتها إلى وقت تفسير حدوث الظاهرة. فبذلك تعتبر الدراسات التفسيرية هي التي تمد العلوم الطبيعية بالعديد من القوانين والقواعد والنظريات. وتمد العلوم الإنسانية بتفاصيل وغموض الحياة الاجتماعية. وتهدف الدراسات التشخيصية إلى تحديد المتغيرات -المتغير التابع، المتغير المستقل-. فتهدف الدراسات التفسيرية إلى الكشف عن أسباب الظواهر الطبيعية، وملامح المشكلات الاجتماعية.
3. **الدراسات الارتباطية** : تبحث الدراسات الإرتباطية عن علاقة بين متغيرين أو أكثر، أو أشياء تحدث بشكل طبيعي في نفس البيئة. ولا يمكن للدراسات الارتباطية أن تخبرنا بأي شيء عن السبب والنتيجة، فقط أن هناك علاقة بين شيئين أو أكثر. على سبيل المثال/ قد يتم تصميم دراسة لتحديد ما إذا كانت هناك علاقة بين عدد الأطفال المصابين بالتوحد في مجتمع معين وشهر ميلادهم. فتتمثل ميزة الدراسات الارتباطية في أنه يمكن جمع الكثير من المعلومات حول عدد كبير من الأشخاص في وقت واحد.

رابعا: أنواع المناهج الوصفية

1. المنهج المسحي

يعتبر البحث المسحي طريقة لتجميع البيانات الاجتماعية وتحليلها عبر المقابلات أو الاستبيانات المقننة من اجل الحصول على معلومات من أعداد كبيرة من المستجيبين عن طريق جماعة ممثلة لهم، وهناك نوعان أساسيان من المسوح أولهما المسح الوصفي وثانيهما المسح التحليلي: يهدف المسح الوصفي إلى الحصول على معلومات من الجوانب السكانية والسن والجنس والحالة الاجتماعية والمهنية والدخل والدين وربط هذه المعلومات بالآراء والمعتقدات والقيم والسلوك الخاص بجماعة معينة، وبؤرة المسوح الوصفية المعاصرة هي السلوك.

أما المسح التحليلي فيهدف إلى التعرف على أسباب السلوك بطريقة معينة، وتستخدم البيانات الوصفية السابقة لوضع الفروض واستخدام المسوح التحليلية لاختبار هذه الفروض خصوصا التعرف على أسباب أنواع معينة من السلوك، ومحاولة التعرف على العلاقات السببية بين أنواع معينة من السلوك والصفات المختلفة الديموغرافية للناس.

والبحوث المسحية هي دراسات لإيجاد الحقائق، ويتضمن هذا المنهج جمع البيانات مباشرة من مجتمع البحث أو عينة الدراسة ويتطلب خبرة والتخطيط والتحليل والتفسير للنتائج، ويمكن جمع المعلومات بالملاحظة، أو المقابلة، أو إرسال البيانات عن طريق البريد وغيرها، كما أن تحليل البيانات يمكن أن يتم باستخدام تكنيكات إحصائية بسيطة أو معقدة ويعتمد ذلك على أهداف الدراسة . و تتمثل مميزات البحوث المسحية:

- غير مكلفة.
- تمكننا من الحصول على المعلومات المعاصرة.
- تمكننا من الحصول على قدر كبير من المعلومات في وقت واحد.
- تزودنا ببيانات كمية أو رقمية يمكن تحليلها إحصائيا وبالتالي يمكن أن تصل إلى درجة عالية من الدقة، الأمر الذي لا نستطيع تحقيقه بالمناهج الأخرى.

1. **منهج دراسة الحالة:** يُعَد منهج دراسة الحالة من أبرز منهجيات البحوث الوصفية، ويُصنف هذا النوع من البحوث على أنه نوَع مهم من أنواع البحوث النوعية، ويقوم منهج دراسة الحالة على أساس اختيار وحدة إدارية، أو وحدة اجتماعية واحدة، كأن تكون مدرسة، أو صف طلابي منها، أو مكتبة واحدة، أو كلية، أو حتى من أقسامها... إلخ، ثم يتم جمع المعلومات التفصيلية عن كل جوانب أنشطتها وصفاتها فقد تدرس حالة مجموعة واحدة من المدمنين على المخدرات، لغرض معرفة كل تفاصيل حياتها وممارساتها، وفي مقالنا هذا نتناول منهج دراسة الحالة بالتفصيل.

دراسة الحالة هو منهج يهتم بدراسة وفهم وتحليل الجوانب كافةً التي تتعلق بالتعرف على الظواهر والحالات الفردية حيث يقوم الباحث بالتعرف إلى الظاهرة أو مشكلة الدراسة ومن ثم تعميم النتائج،و هو مجموعة من الخطوات التي يتمكن من خلالها الباحث من الدراسة الدقيقة لكافة الجوانب التي ترتبط بالظاهرة أو مشكلة البحث.